

السؤال

أجاهد نفسي حتى أمنعها عن الحقد، أغلبها (نفسي) وتغلبني ، فهل أتاب على هذه المجاهدة ، أم أكون حقودا ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا :

الإنسان كائن ضعيف ، يتعرض لنوازع الخير والشر ، وقد يضعف وينساق إلى طريق الرذيلة والانحراف ، ويدفعه الشر إلى طريق الظلم والتعدي ، ويزين له الشيطان فعل المنكرات .
لكن عنصر الخير يحرك فيه ضميره ، ويشعره بالندم ، ويحثه على الرجوع إلى الحق ، والاستجابة لنداء العقل .
وتختلف قدرات الناس ، وقوة إرادتهم ، وصفاء نفوسهم ، وشفافية أرواحهم ، فمنهم من يروض نفسه على السير على طريق الفضائل والمكرمات ، ويربّيها على المبادئ والأخلاق ، ويقاوم الشهوات ، والميول المنحرفة ، ويلزم نفسه بالاستقامة والإنصاف ، فهذا يستطيع أن يواجه الشر ، ويحتمل في سبيل ذلك كل أمر عسير ، ولا يفقد الأمل بتغلب الخير ، واندحار الشر ، وزواله .

ومنهم من ينساق وراء الشهوات ، ويعجز عن إلزام نفسه بالفضائل ، ويتخلى عن كثير من أوامر الله ورسوله ، ويضعف أمام المواجهة ، ويفقد الأمل في تغلب الخير .

والسرّ في المسألة كلها أن يُجاهد العبد هواه ، ونفسه الأمّارة بالسوء ، لينال الهداية من الله ، قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) [العنكبوت: 69] .

وروى الإمام أحمد (23958) ، وابن حبان (4862) وغيرهما ، عن فضالة بن عبيد ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : (أَلَا أُخِيرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ ؟ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ) .

وصححه الترمذي والحاكم ، وكذا صححه الألباني في "الصحيحة" (549) .

قال ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد" (6/3) .

" كَانَ جِهَادُ النَّفْسِ مُقَدِّمًا عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ فِي الْخَارِجِ ، وَأَصْلًا لَهُ ، فَإِنَّهُ مَا لَمْ يُجَاهِدْ نَفْسَهُ أَوَّلًا ، لَتَفْعَلَ مَا أَمَرَتْ بِهِ ، وَتَتْرَكَ مَا نُهَيْتَ عَنْهُ ، وَحَارِبَهَا فِي اللَّهِ : لَمْ يُمَكِّنْهُ جِهَادُ عَدُوِّهِ فِي الْخَارِجِ ؛ فَكَيْفَ يُمَكِّنُهُ جِهَادُ عَدُوِّهِ ، وَالِانْتِصَافُ مِنْهُ : وَعَدُوُّهُ الَّذِي بَيْنَ

جَنَّبَهُ قَاهِرٌ لَهُ ، مُتَسَلِّطٌ عَلَيْهِ ، لَمْ يُجَاهِدْهُ ، وَلَمْ يُحَارِبْهُ فِي اللَّهِ ؛ بَلْ لَا يُمَكِّنُهُ الْخُرُوجُ إِلَى عَدُوِّهِ ، حَتَّى يُجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَى الْخُرُوجِ " انتهى .

والحاصل : أن المسلم إذا جاهد نفسه على تجنب المعاصي وفعل الطاعات ممتثلاً لأمر الله تعالى ونهيه فإنه يثاب على ذلك - إن شاء الله - بقدر ما جاهد نفسه في الله.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

" أَيْمًا أَوْلَى مُعَالَجَةً مَا يَكْرَهُ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ مِثْلُ الْحَسَدِ وَالْحَقْدِ وَالْغِلِّ وَالْكِبْرِ وَالرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَرُوءِيَةِ الْأَعْمَالِ وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ . وَغَيْرِ ذَلِكَ . مِمَّا يَخْتَصُّ بِالْقَلْبِ مِنْ دَرَنِهِ وَخُبَيْتِهِ ؟ أَوْ الْإِشْتِغَالُ بِالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ : مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَأَنْوَاعِ الْقُرْبَاتِ : مَنْ النَّوَافِلِ وَالْمُنْذُورَاتِ مَعَ وُجُودِ تِلْكَ الْأُمُورِ فِي قَلْبِهِ ؟ أَفْتُونَا مَأْجُورِينَ . " فأجاب - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، مِنْ ذَلِكَ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَاجِبٌ : وَأَنَّ لِلْأَوْجِبِ فَضْلًا وَزِيَادَةً . كَمَا قَالَ تَعَالَى فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءٍ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ . وَالْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ لَا تَكُونُ صَالِحَةً مَقْبُولَةً إِلَّا بِتَوْسُطِ عَمَلِ الْقَلْبِ ، فَإِنَّ الْقَلْبَ مَلِكٌ وَالْأَعْضَاءُ جُنُودُهُ ؛ فَإِذَا خَبَتْ الْمَلِكُ خَبِثَتْ جُنُودُهُ ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ .

وَكَذَلِكَ أَعْمَالُ الْقَلْبِ لَا بُدَّ أَنْ تُؤَثَّرَ فِي عَمَلِ الْجَسَدِ ، وَإِذَا كَانَ الْمُقَدَّمُ هُوَ الْأَوْجِبُ ، سَوَاءٌ سَمِيَ بَاطِنًا أَوْ ظَاهِرًا ؛ فَقَدْ يَكُونُ مَا يُسَمَّى بَاطِنًا أَوْجِبَ ، مِثْلُ تَرْكِ الْحَسَدِ وَالْكِبْرِ ؛ فَإِنَّهُ أَوْجِبَ عَلَيْهِ مِنْ نَوَافِلِ الصِّيَامِ . وَقَدْ يَكُونُ مِمَّا سَمِيَ ظَاهِرًا أَفْضَلُ : مِثْلُ قِيَامِ اللَّيْلِ ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ مُجَرَّدِ تَرْكِ بَعْضِ الْخَوَاطِرِ الَّتِي تَخْطُرُ فِي الْقَلْبِ ، مِنْ جِنْسِ الْغِبْطَةِ وَنَحْوِهَا .

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ عَمَلِ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ يُعِينُ الْآخَرَ ، وَالصَّلَاةُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَتُورِثُ الْخُشُوعَ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْأَثَارِ الْعَظِيمَةِ : هِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ ، وَالصَّدَقَةُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . " انتهى ، من "مجموع الفتاوى" (11/381-382) . وينظر للفائدة : جواب السؤال رقم : (21673) .

ثانيا :

جاء في "الموسوعة الفقهية" (18/5) وما بعدها :

" الْحَقْدُ مِنْ مَعَانِيهِ : الضُّغْنُ وَالْإِنْطِوَاءُ عَلَى الْبَغْضَاءِ ، وَإِمْسَاكُ الْعَدَاوَةِ فِي الْقَلْبِ ، وَالتَّرْتِصُ لِفُرْصَتِهَا ، أَوْ سُوءُ الظَّنِّ فِي الْقَلْبِ عَلَى الْخَلِائِقِ لِأَجْلِ الْعَدَاوَةِ ، أَوْ طَلَبُ الْإِنْتِقَامِ . وَتَحْقِيقُ مَعْنَاهُ : أَنَّ الْغَضَبَ إِذَا لَزِمَ كَظْمُهُ لِعَجْزٍ عَنِ التَّشْفِي فِي الْحَالِ رَجَعَ إِلَى الْبَاطِنِ وَاحْتَقَنَ فِيهِ فَصَارَ حَقْدًا ..

يَخْتَلِفُ حُكْمُ الْحَقْدِ بِحَسَبِ بَاعِثِهِ ، فَإِنْ كَانَ لِحَسَدٍ وَضَعْنِ دُونَ حَقٍّ : فَهُوَ مَذْمُومٌ شَرْعًا ، لِأَنَّهُ يُثِيرُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ وَالْإِضْرَارَ بِالنَّاسِ لِغَيْرِ مَا ذَنْبٌ جَنُودُهُ .

وَقَدْ وَرَدَ ذِمُّهُ فِي الشَّرْعِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي ذِمِّ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ سَاءَ لَهُمْ ائْتِلَافُ الْمُؤْمِنِينَ وَاجْتِمَاعُ كَلِمَتِهِمْ بِحَيْثُ أَصْبَحَ

أَعْدَاؤُهُمْ عَاجِزِينَ عَنِ التَّشَفِّيِّ مِنْهُمْ : وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأُنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ...
وَمِمَّا يُذْهِبُ الْحِقْدَ الْإِهْدَاءُ وَالْمُصَافَحَةُ ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَهَادَوْا فَإِنَّ الْهَدْيَةَ تُذْهِبُ وَحَرَّ الصَّدْرِ. وَفِي رِوَايَةٍ:
تَهَادَوْا تَحَابُّوا .

أَمَّا إِنْ كَانَ الْحِقْدُ عَلَى ظَالِمٍ لَا يُمَكِّنُ دَفْعُ ظُلْمِهِ ، أَوْ اسْتِيفَاءُ الْحَقِّ مِنْهُ ، أَوْ عَلَى كَافِرٍ يُؤْذِي الْمُسْلِمِينَ وَلَا يُمَكِّنُهُمْ دَفْعُ أَذَاهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مَذْمُومٍ شَرْعًا ، ثُمَّ إِذَا تَمَكَّنَ مِمَّنْ ظَلَمَهُ ، فَإِمَّا أَنْ يَغْفُوَ عَنْهُ فَذَلِكَ مِنَ الْإِحْسَانِ ... وَإِمَّا أَنْ يَأْخُذَ حَقَّهُ مِنْهُ ، فَلَا حَرَجَ فِيهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَلَمَنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ .." انتهى ، مختصرا .

وقد تقدم الكلام على الحقد وزمه وعلاجه في جواب السؤال رقم:(225700).